

(مقال)

كربلاء في العصر الساساني وبداية الفتح الاسلامي

أ.م.د. علي هادي حمزه

جامعة بابل / كلية التربية الأساسية / العراق

Karbala in the Sassanid Era and the Beginning of the Islamic Conquest

Asst. Prof. Dr. Ali Hadi Hamza

University of Babylon\ College of Basic Education\ Iraq

bas483.ali.hadi@uobabylo.edu.iq

Abstract:

The city of Karbala is considered one of the Iraqi cities that has attracted the attention of historians and researchers due to its religious and historical significance. However, its fame is linked to the Battle of al-Taff in the year 61 AH, which overshadowed its ancient history. There are indications that the name "Karbala" appeared in several forms in eras preceding the Islamic era, including "Karb-Ilu" and "Kar-Bala, " which mean the temple of the god or near the god. As for the administrative divisions of Karbala and its districts, they were clearer and more established during the Sassanid era and the beginning of the Islamic conquest.

Keywords: Karbala, Karb-Ilu, al-Ghadiriyah, Nineveh, Sassanid, Islam.

الملخص:

تعد مدينة كربلاء من المدن العراقية التي استأثرت باهتمام المؤرخين والباحثين لما لها من أهمية دينية وتاريخية، غير أن شهرتها المرتبطة بواقعة الطف سنة ٦١ هـ " طغت على دراسة تاريخها القديم، فهناك اشارات الى أن اسم كربلاء قد ورد بصيغ عدة في عصور اقدم من العصر الاسلامي، ومنها كرب ايلو، وكار بالا، التي تعني معبد الإله، أو القريب من الإله، أما التقسيمات الادارية لكربلاء ومنطقتها فقد كانت أكثر وضوحاً وثباتاً في العصر الساساني وبداية الفتح الاسلامي.

الكلمات المفتاحية: كربلاء، كرب ايلو، الغاضرية، نينوى، الساسانية، الاسلام.

كربلاء في العصر الساساني وبداية الفتح الاسلامي:

يرتبط تاريخ كربلاء بالأحداث التاريخية التي مرّت بها بلاد وادي الرافدين. وهذا يدعونا الى استعراض التاريخ السياسي لوادي الرافدين والدول التي قامت في هذه الرقعة الجغرافية التي يعد تاريخ كربلاء جزءاً منها. لقد شهدت بلاد الرافدين قيام أول دولة رافدينية بعد عصر دويلات المدن السومرية وهي الدولة الأكديّة التي أسسها الملك سرجون الأكدي (٢٣٣٤ - ٢٢٧٩ ق.م) والتي شملت سَطوتها على كل بلاد الرافدين وامتدّت نفوذها الى بلاد الشام والبحر المتوسط غرباً وإلى بلاد عيلام شرقاً، وإلى البحر السفلي أي الخليج العربي جنوباً، وقد ورد أول ذكر لكربلاء في الكتابات الأكديّة فجاءَ ذكرها بصيغة (كارباتو).

ولم تقدم لنا المصادر الأثرية أو الكتابية معلومات وافية عن كربلاء بعد العصر الأكدي لاسيما في العصر الكوتي ولا في سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) التي اسسها الملك (أورنمو)، ولا في العصر البابلي القديم الذي توحدت فيه البلاد مرة ثانية بجهود الملك حمورابي سادس ملوك بابل، اذ تمكن من القضاء على كل السلالات الحاكمة (آيسن، ولارسا، واشنونا، والوركاء، وماري)، وبسط سيطرته على مدن بلاد الرافدين، ومن المؤكد أنَّ كربلاء في هذا العصر كانت تتبع للعاصمة بابل.

أما في العصر الآشوري فقد ورد ذكر كربلاء في الكتابات الاشورية بصيغة (كارب ايل) أو (كرب إل) بدون الياء أو (كرب ايلو) وتعني معبد الإله، وهي نفس الصيغة التي وردت بها كلمة بابل (باب ايلو) وتعني باب الإله، وهي اشارة الى الطابع الديني لكربلاء ومنطقتها، ولعلها كانت مركزاً دينياً آشورياً.

ثم تمكن نبوبلاصر الكلداني زعيم إحدى القبائل الكلدية وحاكم مدينة بابل وبالتحالف مع الدولة الميديّة في بلاد ايران وعاصمتها اكبثانا (همدان الحالية) من اسقاط الدولة الاشورية سنة (٦١٢ ق.م) وكان هذا ايذاناً بقيام الدولة البابلية الحديثة أو العصر البابلي الحديث وتسمى أيضاً بالدولة الكلدانية لأن القبائل الكلدانية قد استوطنت مدينة بابل ومناطق الفرات الأوسط، ويبدو أن البابليين قد استمروا باستخدام الاسم الآشوري لكربلاء (كرب ايلو) أو (كرب ايل) للدلالة على كربلاء وقراها، وقد كانت كربلاء في العصر البابلي مستوطنة تتبع للعاصمة بابل، ولاسيما القسم الشرقي منها الذي يشكل الضواحي الغربية لمدينة بابل، فقد وجدت بعض الطبقات الاثرية لمستوطنات أو قرى يعود تاريخها الى العصر البابلي، وكربلاء كانت ارض زراعية خصبة وان الزراعة هي المهنة الاولى لسكانها، ومن الراجح انها كانت تجهز اسواق مدينة بابل بالمحاصيل الزراعية.

وفي عام (٥٣٩ ق.م) تمكن الملك الأخميني كورش الكبير من احتلال مدينة بابل واسقاط آخر دولة رافدينية، اذ اصبحت بلاد الرافدين تتبع للدولة الأخمينية، وقد وردت كربلاء عند الأخمينيين بصيغة (كار - بلا) وتعني العمل السماوي أو الفعل العلوي، وهي اشارة تؤكد المكانة الدينية لهذه المدينة.

ويبدو ان اسم (كاربلا) قد استمر تداوله في العصر المقدوني وبعده العصرين السلوقي والفرثي، اذ لم ترد معلومات عن تداول اسم غيره، وان مناطق عدة من كربلاء كانت عبارة عن مستوطنات أو قرى كبيرة، فقد وجدت نقود ولقى وجرار ومخلفات أثرية تعود للعصرين السلوقي والفرثي، وظل اسم (كار بالا) يطق على كربلاء في العصر الساساني ومعناه العمل السماوي أو الفعل العلوي.

أما التسمية العربية التي استعملها العرب بعد الفتح الاسلامي للعراق فكانت بصيغة (كربلا)، ثم أضيفت الهمزة للضرورة الشعرية.

إن جميع الصيغ أو الاسماء التي ورت عن أصل اسم كربلاء، عبر العصور القديمة مؤلفة من مقطعين الاول هو (كرب) والثاني هو (إل، أو إيل، أو إيلا، أو إيلاتو).

لقد كانت حضارة وادي الرافدين على تواصل مستمر مع حضارات الشعوب المجاورة ولاسيما في بلاد الشام ومصر وبلاد اليمن، وقد ارتبطت الدول التي قامت في بلاد الرافدين بعلاقات مع تلك البلدان وقد نتج عن ذلك والتواصل انتقال الكثير من الممارسات والثقافات ومنها العقائد والعبادات، وفيما يتعلق باسم كربلاء وجدنا ذكراً للجزء الاول من كلمة كربلاء (كرب) في حضارة بلاد اليمن ولاسيما عند الحميريين والسبئيين، اذ شكلت جزءاً من أسماء بعض ملوكهم مثل ملك حمير (كرب إيل وتر)، وملك سبأ (كرب إيل بين) ومعناه (المتكبر القريب من الاله)، وهذا الملك كان معاصراً للملك الاشوري سنحاريب وكانت علاقتهم طيبة ويتبادلان الهدايا، وبعد ترجمة كلمة كرب من الخط المسند اليمني ظهر أنها جاءت بمعنى (القريب)، على خلاف ما ذكرته بعض الدراسات بمعنى معبد أو بيت أو مصلى، ويؤكد ابن منظور في لسان العرب ما ذهبنا اليه بقوله أن (كرب) تعني (قرب) أو (دنو)، وبهذا فان معنى كرب هو القريب أو الدنو من الشيء.

أما المقطع الثاني من كلمة كربلاء وهو (ايل، أو إل، أو ايلا، أو إلأتو) التي وردت في الكتابات الاكديّة والآشورية والبابلية وجاءت بمعنى (إله)، فقد ورد عند الكنعانيين بصيغة (إل أو إيل) وهو عندهم الإله الاعلى ومن أبنائه الإله بعل والإله هدد، وجاء باللغة العبرية والسريانية بنفس الصيغة الآشورية (إيلا) ويعني إله أو رب. ثم ورد ذكره (ايل) في الحضارة اليمنية بنفس المعنى الذي عرف في بلاد الرافدين، اي بمعنى إله، فقد اضافهُ الملوك الحميريين والسبئيين الى اسمائهم لإعطاء أنفسهم هالة من القدسية، فجاء ضمن اسم الملك الحميري (كرب إيل وتر) والملك السبئي (كرب إيل بين).

ومن هنا يتضح أن كربلاء التي وردت بصيغة (كرب إيل أو كرب إيلا أو كربلاتو أو كار بالالا) بحسب لغة كل من الشعوب التي استوطنت بلاد الرافدين لها مدلولاً دينياً واحداً هو القريب من الإله، ولعل هذا يفسر لنا كثرة المقابر الموجودة فيها وأبرزها مقابر البابليين ومقبرة النصارى المسماة النواويس، وكل هذا يشير بوضوح الى المكانة الدينية التي احتلتها كربلاء منذ أقدم العصور، ويبدو أن في ذلك تهيئة لهذه المدينة لتكون أكبر مركز دينياً بعد الحرمين الشريفين بسبب احتضانها الاجساد الطاهرة لآل بيت النبوة وأصحابهم الابرار.

وقد ظل اسم (كاربالالا) يطق على كربلاء في عهد الدولة الساسانية التي حكمت بلاد النهرين للفترة من (٢٢٦م) الى سنة (٦٣٧م) وهي السنة التي وقعت فيها معركة جلولاء آخر معارك تحرير العراق من السيطرة الفارسية الساسانية.

لقد قسم الساسانيون العراق الى (١٢) وحدة ادارية كبيرة عرفت الواحدة منها (استان)، والإستان في المصادر العربية هي الكورة ومجموعها كور، والكورة هي المدينة أو الصقع، ومن الراجح ان التقسيم الى كور هو نظام اداري اتبعه المسلمون بعد الفتح الاسلامي للعراق وبلاد فارس، وتقسم الإستان الى وحدات إدارية أصغر تسمى (طسوج) وهي لفظة فارسية تعني (الناحية)، ويقول ياقوت الحموي أن الطسوج أغلب ما يستعمل في العراق، وكان العراق مقسماً في العصر الساساني الى (٦٠) ستين طسوجاً، ويقسم الطسوج الى وحدات ادارية أصغر أو

مدن صغيرة تسمى (شهر) وتعني البلد، ولكل شهر مركز أو عاصمة تسمى شهرستان، وتلحق بها مجموعة من القرى تسمى الواحدة منها (ديه) وسوادها يسمى رستاق، والرستاق يعني بيوت مجتمعة، وما يهمنا في هذا المقال هو الإستان العاشر وهو استان (بهقباد الأعلى) ويضم ستة طساسيج هي:

طسوج بابل، وطسوج خطرنية، وطسوج الفلوجة العليا وطسوج الفلوجة السفلى، وطسوج النهرين، وطسوج عين التمر، وما يهمنا هنا هو طسوج النهرين الذي تقع كربلاء ومنطقتها وقراها ضمن حدوده الادارية والذي يشمل الاراضي الممتدة بين عين التمر ونهر الفرات، وسُمّيت هذه المنطقة بالنهرين لأنها محصورة بين خندق سابور وهو الخندق الذي أمر بحفره الملك الساساني سابور الثاني الملقب بذي الاكتاف (٣٠٩ - ٣٧٩م) وكان هذا الخندق يبدأ من منطقة هيت ويشق البادية حتى يصل الى منطقة كاظمة ما يلي البصرة ومنها الى الخليج العربي، وكان الهدف من حفر هذا الخندق هو حماية ارض السواد والمدن القريبة من البادية من غارات القبائل العربية التي كانت تنطلق من الصحراء، وبين نهر الفرات الذي يسمى ايضاً فرات كربلاء أو العلقمي، فتذكر المصادر ومنها المسعودي وآخرين أن نهر الفرات بعد أن يجتاز مدينة هيت ينقسم الى قسمين قسم يتجه نحو الغرب ويسمى العلقمي الى أن يصير الى الكوفة، وقسم مستقيم يسمى سورا يتجه الى مدينة سورا والنيل المزيديّة.

وعلى هذا فان الوحدة الادارية التي تقع فيها مدينة كربلاء وقراها ونواحيها في العصر الساساني كانت تسمى طسوج النهرين، ويبدو ان التقسيم الاداري الساساني استمر بعد الفتح الاسلامي للعراق، فقد وردت اشارات كثيرة ذكر فيها طسوج النهرين للدلالة على كربلاء وقراها، ومنها ما ذكره الطبري عن الفتح الاسلامي للعراق، فبعد انتصار المسلمين على الجيش الساساني في معركة القادسية (سنة ١٥هـ) أرسل خالد بن الوليد خالد بن عرفة لفتح طسوج النهرين، ويستمر الطبري فيقول: "بعد أن فتح المسلمون الحيرة وزع خالد بن الوليد عماله على المناطق المفتوحة فأرسل بشير بن الخصاصية على النهرين".

وورد ذكر النهرين عند "ابن كثير في البداية والنهاية" عندما قال: (وروي عن محمد بن عمرو بن الحسن: قال كنا مع الحسين "عليه السلام" بنهري كربلاء)، كما أشار محمد بن علي بن شهر في مناقب ال أبي طالب: "أن الحسين عليه السلام مضى قتيلاً بطف كربلاء بين نينوى والغازية من قرى النهرين" كما ورد ذكر النهرين عند ابي الفرج الاصفهاني في كتابه مقاتل الطالبين ويقصد بها كربلاء، عند ذكره حادثة استشهاد الامام زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام فذكر: "لما قتل زيد بن علي ودفنه ابنه يحيى سأله أحد أصحابه الذين ظلوا معه أين تريد؟ قال يحيى أريد النهرين ... أريد نهري كربلاء".

ويبدو اسم النهرين ظل متداولاً الى جانب اسم كربلاء حتى القرن الثالث الهجري، فقد ذكره الشاعر دعلب الخزاعي في أحد ابيات قصيدته (مدارس آيات) التي ألّفها في حضرة الإمام الرضا عليه السلام فقال:

ونفوسٌ لدى النَّهْرَيْنِ بِكربلا *** مُعَرَّسُهُمْ مِنْهَا بِشَطِّ فُرَاتٍ

والمُعَرَّس هنا يعني المُسافرُ الذي يَنْزِلُ آخر الليل، وعلى هذا فان طسوج النهرين كان يضم جميع القرى التي تكونت منها مدينة كربلاء في العصور اللاحقة وهي: الغاضرية، ونيوى، وكرْبَلَه، والطَّف، والعقر (عقر بابل)، النواويس، الحير أو الحائر.

لقد أعطى الساسانيون أهمية واضحةً لكربلاء ونواحها بسبب صفتها الزراعية اذ كانت الزراعة هي المهنة الاولى لسكان هذه القرى، فكانت تتوفر فيها مقومات قيام زراعة ناجحة، ومنها وفرة المياه وخصوبة اراضيها، ولهذا أعطى الساسانيون الاشراف على الأراضي الزراعية لبض الدهاقين الفرس، والى جانبهم دهاقين من سكانها العرب، فضلا عن تشجيع الفرس على الاستيطان فيها، فهناك اشارات الى وجود بيوت للنيران وهي معابد لأتباع الديانة الزرادشتية، وكانت للساسانيين مسالح، وهي أشبه بالمخافر الحدودية في وقتنا الحاضر، على طول الخندق الذي حفره الملك سابور الثاني وكان جزءاً منه يَمُرُّ بأ طرف كربلاء باتجاه البادية، وكانت في منطقة الطف أحد تلك المسالح وتسمى (النسر)، ومسلحة أخرى في عين التمر، وكان عامل كسرى ابرويز على ناحية الطَّف أيام معركة ذي قار رجل من عرب الحيرة اسمه قيس بن مسعود بن قيس.

وعلى الرغم من هذه المكانة التي احتلتها كربلاء ومنطقتها واسهاماتها في النشاط الاقتصادي الا انها ظلت على حالها كقرى زراعية ولم ترتقي لتصبح مدينة عامرة فيها مؤسسات ادارية ومقرات تتبع للدولة على الرغم من التوسع الكبير في حجم بعض القرى ومنها الغاضرية ونيوى، ولعلَّ السبب في ذلك يعود الى قُرْبها من مملكة الحيرة التي كانت قد تسيّدت المشهد السياسي في بلاد النهرين بدعم واسناد من الملوك الساسانيين الذين اعتمدوا على ملوكها المناذرة في الكثير من المهام التي أوكلت اليهم، وأهمها الإسناد العسكري الذي قدّمه جيش الحيرة للساسانيين في حروبهم ضد الدولة الرومانية، ولهذا نجد أنَّ الملوك الساسانيين كانوا يكافؤون ملوك الحيرة على هذه الخدمات فيقْطَعُونهم أراضٍ كثيرة، فذكر أنَّ الملك قباذ بن فيروز (٤٨٨-٥٣١م) قد منح ملك الحيرة الحارث بن عمرو الكندي ستّة طساسيج مقابل قيام جيش الحيرة بحراسة حدود الدولة، وإن الملك كسرى ابرويز (٥٩٠-٦٢٨م) أقطع أياس بن قبيصة الطائي عامله على الحيرة مدينة عين التمر وثمانين قرية أخرى على أطراف السواد، ومن الرّج أنّ كربلاء وقراها كانت من ضِمنها، ولهذا ظلت كربلاء في العصر الساساني عبارة عن مجموعة قرى توسع بعضها بشكل كبير الى أن تشرّفت وضمت الجسد الطاهر لأبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الأبرار، فبدأت تتسابق مع الزمن لتصبح بفضل هذه الكرامة أم المدن وقبلة للأحرار.

المصادر والمراجع:

- ١- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).
- ٢- الحموي، ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت، دار الفكر، بلا.ت).
- ٣- الاصفهاني، (ت ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبين، تحقيق: احمد صقر، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٦٥م).
- ٤- ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: عامر احمد حيدر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، مادة كرب.
- ٥- قايا، ديلك، كربلاء في الارشيف العثماني، دراسة وثائقية (١٨٤٠-١٨٧٦م)، ترجمه عن التركية: حازم سعيد، مصطفى زهران، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٨).
- ٦- ال طعمة، محمد حسن مصطفى الكليدار، مدينة الحسين (مختصر تاريخ كربلاء)، (كربلاء: مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠١٦م).
- ٧- الطعمة، عبدالحسين الكليدار، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، تحقيق: عادل الكليدار (كربلاء: دار الوارث للنشر، ٢٠١٤).
- ٨- الدراجي، حميد محمد، كربلاء مدينة التراث والحضارة والعمران، (بغداد: مؤسسة تائر العصامي، ٢٠١٩م).
- ٩- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠١٦م).
- ١٠- المطيري، مهنا رباط الدرويش، كربلاء عبر التاريخ، رحلة وصفية ودراسات اثرية، (بغداد: مطبعة الزمان، ١٩٩٤م).
- ١١- الطعمة، سلمان هادي، تراث كربلاء، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٣م).